ثلاث صفحات مطوية

من تاريخ الحرب الكبرى

كيف أمضيت شروط الهدنة[1]

لما جاء الجنرال فيغان ، الى مركبتي في صباح ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ — وقد كان صباحاً قاتماً فاتناً بارداً — وقال « هاهم » رفعت النافذة قليلاً وتطلعت منها . كنا في بقعة من أكثف البقاع في حرجة «الكمبين» . وكان سقوط المطر ما يزال متواصلاً من بضعة أيام ، والأرض قد أصبحت بحيرة من الوحل . ومع أن القطار الذي يقلُّ المندوبين الألمان كان على ٦٠ يرداً من قطارنا ، وجب بناء شبه جسر خشبي فوق الخأة، وعليه رأيت أربعة رجال . نظرت اليهم وقلت لنفسي : « إذن هذه الامبراطورية الألمانية ، قد خذلت وجاءت تلتمس الصلح . انني ملزم على معاملتها كما تستحق أن تعامل ، من دون ضغينة أو قساوة ، ولكن لا بدَّ من معاملتها بحزم »

ولما دخلوا ، بعيد ذلك ، الى غرفة استقبالي في مركبتي ، رأيتهم واقفين يعلو وجوههم شحوب ، ويبدو في وقفتهم توتر وجود . وطلب أحدهم — حزرتُ أنه متياس ارزبرجر — بصوتٍ خافتٍ الأذنَ في أن يقدّم رفاقه. فقلت ببساطة : «يا أسياد هل عندكم أية مستندات . إذن لننظر في صحتها » . فأروني حينئذ مستندات موقعاً عليها من البرنس ماكس اوف بادن بدا لي انها وافية . ثم التفتُّ الى ارزبرجر وقلتُ له «ماتريدون» .فأجاب بصوت مضطرب «لقد أتينا لنتسلم مقترحات الحلفاء لعقد هدنة» فأجبته بجفاء (وهي المرة الوحيدة التي كنت فيها جافياً) قائلاً «ليس عندي مقترحات أقدمها»

فتفاهم الألمان الأربعة بعيونهم ، وقال أحدهم — كونت اوبندورف — « قل لنا يا جناب المريشال كيف تريدنا أن نعرب عما نريد . ان وفدنا مستعد أن يطلب منكم شروط هدنة» .فقلت متمهلاً « هل تطلبون رسمياً عقد هدنة »؟ فأجاب نعم نطلب. فقلت إذن تفضلوا بالجلوس فأقرأ لكم شروط الحلفاء . وبدأت أقرأ شروط الهدنة متمهلاً . وكنت أقف بعد كل فقرة لأدع للمترجم فرصة للترجمة . وكنت أحدق في

(١) وهي آخر ما نشره الماريشال فوش

وجوه زوّاري أتتبع ما يرتسم عليها وهم يسمعون الترجمة . فرأيت سحنهم تتغير. وكان وتر فلد — بوجه خاص — شديد الشحوب . بل أظن أنه ذرف دمعاً . فلما انتهيت من القراءة قلت : « يا أسياد سوف أترك هذا النص معكم . أمامكم اثنتان وسبعون ساعة للجواب . ولكم أن تقدموا ملاحظاتكم على التفصيلات اليّ »

حينئذ تكلم ارزبرجر كلاماً يثير الشجون إذ قال : « بربك يا جناب المريشال ، لاتنتظر اثنتين وسبعين ساعة . مر بوقف الحرب اليوم . ان جيوشنا فريسة للفوضى. والبولشفية تهدّدهم. فاذا رسخت قدمها (البولشفية) في المانيا هددّت فرنسا نفسها» فأجبت «لا أعلم حالة جيوشكم. وإنما أعلم حالة جيوشي. فأنا لا استطيع وقف الهجوم، بل قد أصدرت الأوامر بوجوب مواصلته بهمة مضاعفة» . فقال وتر فلد «يا جناب المريشال. يلزم لأركان حربنا أن يتناقشوا معاً وان يشتركوا في بحث كل التفاصيل اللازمة للتنفيذ. فكيف يستطيعون ذلك ما زالت الحرب على قدم وساق . فأتوسل اليك، لأسباب فنية، أن تأمر بوقفها»

فرددتُ : «للمباحثات الفنية أن تدور في خلال اثنتين وسبعين ساعة ، ولكننا سوف نمضي في الهجوم الى نهايتها». فكان هذا فصل الكلام . ونهض المفوضون الأربعة وانصرفوا . وفي النصف الأول من ليلة ١٠ نوفمبر ، لم أنم قط . وبعد الساعة الثانية من صباح ١١ نوفمبر (عند انتهاء ميعاد الاثنتين والسبعين ساعة) أقبل المفوضون الأربعة الى مركبتي وبدأوا حديثاً فنيّاً . فطلبوا ، أن انظر الى حالة القلق السائدة في المانيا وأن أسمح للجيش الألماني بأن يحتفظ بعدد كبير من المدافع الرشاشة لحفظ النظام. فسمحت له بخمسة آلاف مدفع رشاش ومائة سيارة نقل . . . وفي الساعة الخامسة والربع أمضوا مستند الهدنة بحروف كبيرة

وفي الساعة السابعة طلبت سيارتي واتجهت الى باريس . فوصلت إلى وزارة الحربية في الساعة الثامنة ودخلت على المسيو كلنصو. والظاهر أنه لم يكن طيب الخاطر ساعتها فسألني في تضجر وتذمر « بماذا سلمت للألمان » ؟ فقدمت اليه مستند الهدنة جواباً وقلت له لابدّ من اطلاق المدفع في الساعة الحادية عشرة إيذاناً بانتهاء الحرب . ولكنه أراد أن يطلق المدفع في الساعة الرابعة بعد الظهر ، إذ يعتلي المنبرَ في مجلس النواب . فأصررت قائلاً : بعد ساعتين تطلق آخر قنبلة على طول الجبهة وينتهي القتال. ويستحيل أن نبقي سكان باريس جاهلين هذا ! ووافق بعض الحاضرين في مكتب رئيس الوزراء — مثل المسيو بارتو — على كلامي . « إذن — زمجر النمر أخيراً — ليطلق المدفع في الساعة الحادية عشرة» ! . فلم يبقَ عليّ إلاّ أن أنسحب

كلمنصو مساء الهدنة [1]

شوارع باريس ، وميدان الكونكورد المكتظ بأهرامات المدافع التي غنمت في القتال ، وميدان الاوبرا ، مزدحمة بجمهور فرح هادىء . ان شدة ألم باريس في أيام المحنة أمسكت بها عن الاسترسال في الفرح الصاخب يوم النصر . ان أشعة الشمس الشاحبة تجعل الشفق تاماً ، ودفء الجو أثر باق من دفء الصيف . ان أنوار المصابيح في الشوارع تبدو كبيرة ، لتكسُّر أشعتها على الهباء المنثور في الهواء

وقفت مارت شنال — المغنية — تنشد من شرفة مضاءة في دار الاوبرا ، نشيد « المرسيّيز » . تنشده وتعيد انشاده ، والجمهور المزدحم ينشد معها ذلك المقطع المثير «محبة الوطن المقدسة[2]» . وكان صوت شنال مرتفعاً كصرخة خارجة من أعماق نفسها فيتردد في ذلك الجمع المحتشد كأنه خارج من أعماق نفس فرنسا . تلك لحظة من لحظات التاريخ الخالدة ! انتهت الانشودة ، وهذه شنال واقفة ، ولاتزال اوتارها تهتز وتتردد ، مجيدة ، ممثلة لفرنسا في كل تاريخها ، ملكيةً أمبراطورية وجمهورية ! هذه شنال — بل فرنسا نفسها — واقفة منتصرة ، مرفوعة الرأس منفرجة الشفتين ، دامعة العينين فرحاً وحزناً ، تحدق الى المستقبل بثقة وطمأنينة ! لقد انتهت الحرب — بالنصر . ان أمة لها كرامة كهذه الكرامة ، إن أمة لها نشيد كهذا النشيد ، لايمكن أن تقهر وتمحى !

وفجأة يبدو مشهد غريب . في هذا الجمع المحتشد يظهر اثنان ، عليهما دلائل الدعة ورقة الحال ، ثيابهما اقرب الى الرث منها الى المتقن ، وتنم على ما تنم عليه ملابس طبقة رجال الفكر في فرنسا ، من اهمال واحتقار لتطور الازياء . لصق احداهما بالآخر ، اذ تقاذفهما الجمهور . السيدة نحيفة البنية ، متقدمة السن ، شعرها رمادي فضي ووجهها مغضن . والرجل شيخ قوي البنية ، ذو جسم ضخم على ساقين قصيرتين . يعلو وجهه القاتم المكفهر ، وعينيه المغوليتين ، وشاربيه ، قبعةٌ مترهلة . كان يبدو عليه ، انه غير مهتم بالدموع الساكبة على الخدود ، مع ان يده المقفزة ، كانت ترتفع من حين الى آخر فتزيد قبعته ترهلاً واخفاء لعينيه

الجمع شديد الازدحام — وهذان شيخان .. ليس هذا مكانهما . ومع ذلك فان الشيخ الرث الثياب ، الضائع في الجمع المحتشد ، كان يستطيع لو اراد ان يسير راكباً ، يحيطه الحرس الجمهوري ، في يوم ايامه هذا ! فان كلمنصو ، في يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، لو مدَّ يده الى

(١) لكاتب « امريكي » (٢) Amour sacré de la Patrie

فرنسا ، لما رفضت ان تمنحه اي شيء . ولكنه لم يرغب الا في التمتع بفرحها ، كأقل ابنائها !

كان حينئذ اعظم رجال العالم قوة ونفوذاً — اعظم رجل فرنسي بعد نوليون ! كان وزير حربية فرنسا ورئيس وزرائها المسيطر على قوى الحلفاء ، والقابض على مصير الدول الاوربية ، الذي استطاع وحده ، ان يحفظ فرنسا في صفوف القتال الى ان استعدت اميركا لخوض معتركها .

هذا رجل يحبه الناس كثيراً ويبغضه الناس كثيراً — هذا هو « ابو النصر » !

كان وحيداً وفي وحدته عظمة لا تسامى ! كان في امكان روزفلت ان يجاريه في دمقراطيته . ولو كان محله ملكاً لآثر ان ينحني لشعبه من شرفة تجللها الاعلام . اما القواد ورجال السياسة فكانوا يفضلون تحية الشعب من مركبات تسير ببطء تحيط بها كواكب الفرسان ! ولكن كلمنصو كان وحيداً ، لا يسير وراءه رجل من رجال البوليس ، ولا من رجال التحري . خرج من شقته الصغيرة في شارع فرنكلن ، ومرّ باخته ليصطحبها الى الشوارع والساحات العامة ليشتركا في فرح الامة العظيم

وكان صامتاً — تقريباً . اقول تقريباً لانه من شفتيه المرتعشتين خرجت لاول مرة تلك الكلمات ، التي رُدّدت بعدئذ في فرساي فتناقلتها اسلاك البرق — « هذا هو اسعد يوم في حياتي » ! على ان تنكره لم يطل . فاتجهت اليه العيون ، وحدّقت ، ولمعت ، ولم تلبث حتى خرجت من افواه الذين على مقربة منه عبارات القسم ، ثم سرت في الجمهور لحظة ما زال يتسع نطاقها وتعلو نبراتها حتى خرجت من افواه الالوف « ليحي كلمنصو »

كلمنصو . . كلمنصو . . . كلمنصو . . . لحظة ما لبثت ان تناقلت صداها شوارع باريس .

ولما اكتشف « النمر » وقف منعوراً خائفاً ! فازدحم الجمهور حوله واصطخب ، وامتدت ايدٍ ، وارتفعت قبعات ، وادّيت تحيات ، وابرقت عيون ! وللحال ظهر رجال البوليس كأنما بعصا الساحر . فاختفى الشيخان (كلمنصو واخته) في باب من ابواب الجراند اوتيل وبعد دقيقة ظهر كلمنصو على شرفة من شرفات الدور الثاني من ناحية دار الاوبرا

وقف هناك مثلاً للقوة ، والجرأة ، فما كان يداخلك انه شيخ ! وارتفعت من الشوارع تحته اصوات التهليل ، كهدير عميق ، يختلط فيها نداء « ليحيَ » بزفرات الفرح والمحبة والشكران . تكلّم كلمنصو ساعتئذٍ ، ولكنّ احداً لا يعلم حتى الساعة ماذا قال . كانت باريس حتى تلك اللحظة غير متماسكة الاجزاء في فرحها ، على ضدّ العواصم الاخرى المحتفلة بانتهاء الحرب ، فما كنت تسمع فيها تصفير الصفارات ، ولا قرع الطبول . كان شعورها بفرح الانتصار شعوراً مكظوماً ! فقد كان كل باريسيّ يبتسم — ولكن ما اكثر المبتسمين من خلال الدموع ! فلما بدا كلمنصو على شرفة الجراند اوتيل ،

أطلقت باريس لنشمها العنان. وكفَّ كلمنصو عن محاولة الكلام، ولكنه قبل ان يكفّ صاح: لا تنادوا ليحي كلمنصو بل نادوا لتحي فرنسا — ودائماً نادوا لتحي فرنسا!

وقفل راجعاً الى الغرفة فجلس الى جنب شقيقته ووجهه المكفهرّ يرتعش!

وكان كلمنصو كثيراً ما يختلف مع شقيقته — فيحتدم الجدال بينهما — جدال الاخوة الساخر احياناً الحاد احياناً اخرى! فلما قالت له ان قد ازف الوقت لعودته الى البيت صاح بها «انك يا شقيقتي مجنونة»! ومضى الجمهور المحتشد خارج الفندق يصيح كلمنصو ... كلمنصو ... كأنه اتخذ هذا اللفظ قراراً لصياحه طول الليل. وجلس هو في المقعد المحمليّ، يصغي الى هدير الجماهير في الشوارع وكأنه لا يسمعها نبراته. فكان يبدو على وجهه انه بعيدٌ بعيدٌ — اما الرجال العشرة في الغرفة فكانوا اذا ارادوا ان يقولوا شيئاً يتهامسون

ولم تلبث حتى عرفت باريس بأسرها ان «النمر» في غرفة صغيرة في «الجراند اوتل» والى هذه الغرفة اقبل شخص خطير يريد ان يوجه سؤالاً الى رئيس وزراء فرنسا ووزير حربيتها

كان الجمهور قد اقبل على اهرامات المدافع التي غنمت في المعارك واقيمت في ساحة الكونكورد — اعلاماً للنصر — يهدمها ويجرّ مدافعها الى الشوارع والساحات العامة حتى بلغت ميدان الباستيل والضواحي البعيدة خارج معاقل المدينة. فماذا يفعل رجال الحفظ؟ وهذا الرجل الخطير جاء ليسأل وزير الحربية ان يصدر الاوامر في هذا الصدد. فاصغى اليه النمر، ثم اتجه الى النافذة، فاتصلت به الانغام المتصاعدة من قلوب الجماهير وفيها الحان المارسيز، ثم رفع نظره الى الرجل الخطير المحيَّر وقال بحدّة

«لقد كسبنا الحرب! اما المدافع .... فاعطها للاطفال ليلعبوا بها» واشار على الرجل الخطير بالخروج قائلاً ... «اعطها للاطفال ليلعبوا بها». ثم اغمض عينيه. وعلى عظم وجنتيه البارزتين لمعت دموعه المتساقطة! . ثم نهض متثاقلاً، واتجه الى شقيقته لتعينه فافسح لها الجالسون قرب الباب المجالَ، احتراماً. شيخ قويّ البنية، لم ينحنِ، وشيخة نحيفة، ماسكة بذراعه — انها صورة عظيمة لن يبهت لونها!

خيانة هلدين وبراءته[1]

كان اللورد هلدين فيلسوفاً ومحامياً سياسيًّا ومؤلفاً كبيراً. جلس في مجلس النواب البريطاني ٤٠ سنة وتولى مرتين وزارة الحقانية وفي اثناء توليه لوزارة الحربية سنة ١٩٠٥ الى ١٩١٢ قيل انه عمل على إعداد بريطانيا للحرب الكبرى اكثر من اي انسان او جماعة

(١) من ترجمة اللورد هلدين بقلمه

في بريطانيا . ومع ذلك لما نشبت الحرب ، اصبح هذا الرجل الكبير هدفاً لسهام النقد اللاذع ، يتهم بالمروق من الوطنية وتنشر الصحف الصاخبة عليه يومئذ بانه طرد من منصبه « لانه تعمد تأخير التعبئة في الجيش البريطاني ، ولان زوجته المانية ، ولانه شقيق غير شرعي للقيصر» . الى هذا المدى يبلغ جنون الصحف في الاوقات العصيبة ! . أما العاصفة التي عصفت به في اغسطس ١٩١٤ فمنشؤها ان جريدة التيمس اكتشفت ان اللورد هلدين تلقى من البحري الالماني الكبير الهر بَلِنْ Ballin كتاباً يجعل هلدين موضعاً للشبهة . ولما كان الجواب خاصًّا وقد كُتب قبل نشوب الحرب ولا يصحُّ نشرهُ الاَّ باذن من كاتبه رفض اللورد هلدين وهو وزير الحقانية البريطانية حينئذٍ ان ينشرهُ لقاء مائتي جنيه عرضتها عليه التيمس متحدياً بذلك غضب الرأي العام صارباً على مقض . والى القارىء نص الجواب كما ظهر لاول مرة في ترجمته التي نشرت سنة ١٩٣٠

عزيزي اللورد هلدين همبرغ اول اغسطس ١٩١٤

«لم يكد ينقضي اسبوع منذ تشرفت وسررت بقضاء سهرة معك كان غاية في اللذة. ومع ذلك ، فقد انقلبت احوال العالم انقلاباً تامًّا بسرعة تكاد تسبق افكر الانساني

«والآن اسأل نفسي هذه المسألة : هل تخوض انكلترا حقيقةً ، غمار هذه الحرب؟ في الاسبوع الماضي انهمتني تلميحاً ، بطريقتك الواضحة ، ان انكلترا لا تغرى بخوض غمار الحرب الاَّ اذا ابتلعت المانيا فرنسا ، اي اذا اختلَّ توازن القوى الدولية اختلالاً كبيراً باقدام المانيا على ضم اراضٍ فرنسية

«ولما كانت الحال حرجة ، فانني لا ارغب ان تكتب لي عنها . ولكن ما يهمني بوجه خاص ، الانباء التي اذيعت في لندن وباريس ان المانيا تود ان تحارب هذه الحرب ، اتقاء روسيا وفرنسا ، اي ان هذا الظرف يبدو للمانيا موافقاً لاثارة حرب ، وانها لذلك تثيرها من دون سبب كاف . وأملي انك ، والسير ادورد غراي (وزير الخارجية البريطانية حينئذ) لا تعلقان اي شأن على هذه الدعوة الثالثة

«انك تعرف امبراطورنا معرفة شخصية وتدري انه جعل غرض حياته ضمانَ السلام لالمانيا . ولما كنت اعرف ما تكنُّه من الصداقة والاحترام لمستشارنا الهر بتمن هلفج ، فاني متأكد انك تتفق معي انه لا يستطيع ان يعمل عملاً ساقلاً كهذا

«وعلى كل حال ، اريد ان اعرفك هذا ، ولا ازال كبير الامل ، بان تستطيع انكلترا ، ان تحتفظ بحياد مشبع بالصداقة ، لقاء ضمانات معينة ، وكذلك اؤمل ان يستطاع وجود مخرج ، في آخر ساعة ، من هذه الفوضى المفزعة الامضاء « بلن » —

ويلي هذا الكتاب في ترجمة لورد هلدين وصف ما شعر به ازاء موقف الرأي العام البريطاني ختمه بشهادة اللورد هيج قائد جيوش بريطانيا العام : له . قال :

ولا بد من الاشارة الى الحملات التي وجهت اليَّ بعد رسالة بلن . فقد كان معظمها خارج البرلمان . ولكن كثرتها اثرت الى حد بعيد في الرأي العام واغضبت نفراً من اصدق اصدقائي . . . . فقد نشر اصحاب تلك الحملات كل خرافة مضحكة عني . قالوا ان امرأتي المانية . واني شقيق غير شرعي للقيصر . واني كنت اواسل الحكومة الالمانية سرًّا . واني كنت اعلم ان الحكومة الالمانية تنوي اثارة الحرب واني امسكت ما اعلمه عن زملائي . واني اخرت عمداً تعبئة الجيش البريطاني وارساله الى فرنسا. كلّ هذه الاشياء اذيعت عني وكان في امكاني ان ادحضها كلها بنشر الوثائق ولكن وزارة الخارجية كانت غير ميالة الى هذا النشر حينئذٍ فكانت النتيجة ما يتوقع في مثل هذه الاحوال. هاجتني صحافة هرمزورث (نورثكليف واخوانه) مهاجمة منظمة . وبدأت الرسائل غفلة التوقيع تنهال عليَّ . ففي ذات يوم وصل الى مجلس اللوردات، تلبية لطلب جريدة الديلي اكسبرس ٢٦٠٠ رسالة يحتج فيها اصحابها على خيانتي لمصالح امتي فأرسلت هذه الرسائل الى بيتي في اكياس . فعهدت في فتحها ونبذها الى الخادمة !

ولا بدَّ لكل حادث من علة . فقد كنت معنيًّا كلَّ العناية بدرس فلسفة الالمان وادبهم . وكنت اعجب كل الاعجاب بقوة التأمل المنظم التي يمتازون بها . ولعلي اكثرت من تذكير ابناء امتي بتقصيرهم في هذه الناحية . ولكنني كنت اعرف كذلك اكثر مما يعرفه مواطنيّ ناحية الضعف في الخلق الالماني وسيطرة العقل المجرّد عليه . وكنت قد قدّرت تقديراً دقيقاً الفرق بين المانيا قبل حرب سنة ١٨٧٠ والمانيا قبيل حرب ١٩١٤ . كذلك ادركت انحطاط اركان الحرب الالماني والخطر الذي يجرّهُ عليه عقل لا ضابطَ له مثل عقل القيصر . وكنت اعتقد انه لو كانت بريطانيا تستطيع ان تدرس نفسية الالمان وتقاليدهم وتفهم المانيا بعد معاهدة برلين خصوصاً ، لكان في الامكان اجتناب المصاعب الناشئة عن سياسة توازن القوى بين دول اوربا . وكان في الامكان جعل العناية بانشاء مجمع مؤلف من الدول الكبيرة — المانيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا وروسيا — هدفاً يسعى اليه رجال السياسة . ولو صحَّ هذا لكان عندنا مجمع يحقق لنا اكثر مما حققته جمعية الامم

وفي خريف ١٩١٤ شعرت انه يجب عليَّ ان اذهب الى رئيس الوزراء (المستر اسكوث) واصارحه بان ما يوجّه اليَّ من الحملات لا بدَّ ان يؤثر في الحالة العامة وانه يستحسن ان لا ابقى في منصبي (وزير الخفانية) فضحك اسكوث من قولي ولكني كنتُ جادًّا.

ولو اتيح لي ان انشر تفاصيل المسألة حينئذٍ لكنت بددت الاوهام . ولكن كلا اسكوث وغراي كانا يريان عدم نشر تفاصيل ما كان دائراً مع المانيا قبل الحرب من المفاوضات. فتحتم عليَّ ان أبقى من غير دفاع . ولم أكن واهماً في ما عسى ان تكون النتيجة

وكان لا بدَّ من النظر في هذه الحملة الشعواء عليَّ ، من وجهتها العامة . ففي نظري كان عملي قد تم ووجودي في الوزارة لم يعد عنصر قوة فيها . فلما اشتدت العاصفة الثائرة عليَّ رأيت انه يتعذر على رئيس الوزارة ان يؤلف وزارة ائتلافية اذا بقيت وزيراً للحقانية وكتبت اليه بهذا الصدد . وما كنت اهتم كثيراً بالمنصب . فشؤون الوزارة الخاصة بخطة الحرب كانت قد اصبحت في ايدي آخرين فلم يعد ثمة حاجة اليَّ . . . فلما رأى اسكوث وجوب تأليف وزارة ائتلافية ارسل كتاباً دورياً الى جميع الوزراء يطلب اليهم ان يستقيلوا . فلم امانع في ذلك

ولم اعبأ كثيراً بأقذع ما وجه اليَّ من النقد . فقد كنت اعلمُ ان تنظيم الجيش كان قد تمَّ على اوفى وجه يمكنه من القيام بوظيفته .... فاكتفيت بان احتمل . لانه اذا فاز الجيش فرجوعه مظفراً ابلغ شاهد في الدفاع عني . وشهادته في ذلك لا تردُّ

* * *

فلما تمَّ الظفر في فرنسا ، عادت الجنود البريطانية الى لندن وعلى رأسها قائدها المنتصر دوغلس هيج ممتطياً فرسه الى جانب الملك ، وكانت لندن كلها في حالة فرح لا يوصف . ولكنني تركتُ وحدي في مكتبي . وكان الظلام قد اخذ يمدُّ رواقه ليلتها ، اذ اقبل خادمي يقول ان بالباب ضابطاً يريد مقابلتي ولكنه رفض ان يقول ما اسمه . وكان خادمي حينئذٍ شديد الحذر لان رجال اسكتلنديارد (دار رجال التحري) حذروهُ من السماح لاناس مجهولين في الدخول . فقلت له ان يدخل الضابط الذي في الباب ايَّاً كان . فدهشت اذ رأيت صديقاً قديماً جداً — هو الفيلد مارشال دوغلس هيج — جاء يزورني على اثر الموكب الذي تقدمه تقدُّم الظافر . فقال : «لا انوي ان ابقى اذ غرضي ان اترك معك كتاباً كتبت فيه شيئاً» . ثم اصرَّ على الانصراف . وكان ذلك الكتاب مجموعة رسائله الرسمية الى وزارة الحربية من ساحة القتال . وعلى صفحته الاولى كان قد خطَّ هذه الكلمات : الى ڤيكونت هلدين اوف كلون — اعظم وزير حربية انكليزي ، تذكاراً مقروناً بالاعتراف والشكر لآثاره الناجحة في تنظيم القوى الحربية لحرب في قارة اوربا ، رغماً عن مقاومة شديدة من مجلس الجيش وتأييد اكثر من اصدقائه في البرلمان

الامضاء